**خصائص جسد المسيح القائم من الأموات[[1]](#footnote-1)**

**الأنبا بيشوى**

أرسل لى البعض متضيقين لأنهم سمعوا من أحد الآباء الرهبان فى فرصة تعليمية أنه قال إن جسد السيد المسيح بعد القيامة كان غير محدود، وإنه لما ظهر للتلاميذ فى العلية، لم يدخل من الجدار لكنه كان موجوداً فى العلية بجسده، لأنه موجود فى كل مكان.

نحن نعرف أن لاهوت الكلمة المتجسد موجود فى كل مكان، لكن هذا الأب الراهب -حسب قولهم- قال أن جسده بعد القيامة موجود فى كل مكان، وأن ما حدث وقتما كان التلاميذ مجتمعين فى العلية هو مجرد أن جعلهم يرون هذا الجسد الذى كان فى الأصل موجوداً فى وسطهم. ومعنى أنه كان موجوداً فى وسطهم، أنه كان موجوداً أيضاً فى القبر، وفى كل مكان فى الكون لأنه غير محدود.

كيف يكون جسده غير محدود؟!

لمناقشة الموضوع سوف نورد بعض كلمات من الكتاب المقدس وأيضاً بعض أقوال للآباء.

قال السيد المسيح لمريم المجدلية فى ظهوره لها فى المرة الثانية: "لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي **لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي**. وَلَكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: **إِنِّي أَصْعَدُ** إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ" (يو20: 17).

عبارة "**لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ"** تعنى أنه على الأرض وليس فى السماء، وتعنى أنه ليس من الممكن أن يكون جسده على الأرض وفى السماء فى نفس الوقت، وإلا يكون كلامه غير حقيقى، وحاشا!

ويقول المزمور "**صَعِدَ اللهُ** بِالتهليل الرَّبُّ بِصَوْتِ الصُّورِ" (مز47: 5).

وفى قداس القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات يقول الكاهن [**وعند صعودك** إلى السموات **جسدياً** وأنت مالئ الكل بلاهوتك].

إن الصعود يفقد معناه لو كان جسد المسيح بعد القيامة هو جسد غير محدود وموجود فى كل مكان. وهذا يعنى أن الجسد تحول إلى لاهوت، مع أننا نقول فى الإعتراف الأخير فى القداس الإلهى أن التجسد كان [بغير اختلاط ولا إمتزاج **ولا تغيير**].

يقول **القديس كيرلس السكندرى السكندرى** فى رسالته الأولى إلى سكسنسوس أسقف قيصرية الجديدة وهى الرسالة المرقمة برقم 45 منه وإليه يقول:

"لذلك فعندما نعتبر –كما قلت- كيفية تأنسه نرى أن طبيعتين اجتمعتا إحداهما مع الأخرى فى اتحاد لا يقبل الانفصام، **وبدون إختلاط وبدون تغيير**، لأن **جسده هو جسد وليس لاهوتاً رغم أن جسده قد صار جسد الله**. وبالمثل **فالكلمة أيضاً هو الله وليس جسداً**، رغم أنه جعل الجسد خاصاً به بحسب التدبير. لذلك فحينما تكون لنا هذه الأفكار، فنحن عندما نقول إنه كان من طبيعتين فنحن لا نجرح الوحدة، ولكن بعد الاتحاد لا نفصل الطبيعتين إحداهما عن الأخرى، ولا نجزئ الابن الواحد غير المنقسم إلى إبنين، بل نقول بابن واحد، وكما قال الآباء طبيعة واحدة متجسدة لكلمة الله (one incarnate nature of the Word of God ς)" (فقرة 6).

هذا ما قاله القديس كيرلس الكبير الذى تلقبه الكنيسة بلقب عامود الدين، وهو الذى قاوم النسطورية ورأس مجمع أفسس المسكونى الثالث 431م، فهل يأتينا اليوم من يقول عكس كلام القديس كيرلس الكبير؟!

لقد إتخذ الله الكلمة جسداً من السيدة العذراء مريم بفعل الروح القدس واتحد لاهوته بهذا الجسد فصار هذا الجسد هو جسد الله الكلمة، وأحياناً نسميه الجسد الإلهى، بمعنى أنه الجسد الذى إتخذه الله الكلمة بإعتبار أن الله الكلمة هو الكلمة الإلهى، فصار الجسد هو جسد الكلمة الإلهى، ليس الجسد الذى هو لاهوت إنما الجسد الذى إتخذه اللاهوت. فإن استخدمنا عبارة "الجسد الإلهى" نحن لا نقصد أن الجسد هو طبيعة إلهية إنما أنه هو الجسد الذى إتخذه الله الكلمة.

كما أن اللاهوت أيضاً لا يحد فى هذا الجسد.

لقد أكّد الآباء القديسين على أن الجسد لم يتحول إلى لاهوت. لأنه لو أن جسد المسيح موجود فى كل مكان فإن هذا يعنى أنه ذاب فى اللاهوت. وبهذا يكون الناسوت قد فُقِد، ونحن فقدنا أن يكون هو باكورة الراقدين، لأن علاقته بنا إنقطعت.

إذا تحوّل الجسد إلى لاهوت كيف يكون هو باكورة الراقدين؟ وكيف يكون هو رأس الكنيسة؟

وكيف يقول معملنا بولس الرسول "أَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ **فِي الْمَسِيحِ** **يَسُوعَ**" (أف2: 6)؟ عبارة "فِي الْمَسِيحِ يسُوعَ" تعنى أنه هو كنائب عن البشرية بصعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الآب أصبحت الكنيسة كلها **فى المسيح** مكرمة بحضورها فى ملكوت السموات فى شخصه هو كسابق لنا، كما قال هو "أَنَا أَمْضِي لِأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً. وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً" (يو 14: 2،3). ويقول معلمنا يوحنا الرسول "أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ **نَكُونُ مِثْلَهُ**، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ" (1يو3: 2). هل عبارة "**نكون مثله**" تعنى أننا نحن أيضاً سوف نكون غير محدودين؟!

بلغنى أن هذا الأب الراهب قال أن السيد المسيح حينما ظهر للتلاميذ فى العلية لم يدخل من الجدران لكنه كان موجوداً داخل العلية!

لنرى ما يقوله **القديس كيرلس الكبير** فى شرح إنجيل يوحنا وعندنا الأصل اليونانى والترجمة الإنجليزية والترجمة العربية:

"**إذن فلا تتزعزعوا عن الإيمان الأرثوذكسى بسبب أن هذه المعجزة (معجزة دخوله والأبواب مغلقة) قد تمت، بل كونوا حكماء، وأضيفوا هذه المعجزة إلى أعمال المسيح الخارقة التى عملها**.

**دققوا النظر فى هذا الدخول غير المتوقع**، فإن المسيح **بدخوله والأبواب مغلقة** يظهر مرة أخرى أنه هو الله بالطبيعة، ويؤكد لهم أنه هو نفسه الذى عاش معهم قبل ذلك. فهو يكشف لهم عن جنبه الجريح ويريهم آثار المسامير، **وهكذا أعطانا البرهان الكامل أنه قد قام بجسده أى هيكله الذى عُلق على الصليب، وأنه أعاد إلى الحياة ذلك الجسد الذى لبسه**. وبذلك سحق الموت الذى كانت له القدرة على كل الأجساد. وقد فعل المسيح هذا لأنه هو بالطبيعة الحياة وهو الله.

ولماذا إحتاج أن يريهم يديه وجنبه؟ لأن البعض تصوروا أنه لم يقم بالجسد. ولو كان يريد أن يعتنق تلاميذه عقيدة قيامة جسده فلماذا لم يظهر لهم بشكل آخر لا علاقة له بجسده. ولكننا نرى بوضوح أنه أكد الأهمية القصوى لإقتناعهم وإيمانهم بقيامة جسده. ورغم أن الوقت كان مناسباً جداً أن يغير جسده إلى شكل وجمال فائق يناسب القيامة، إلا أنه قرر حسب تدبيره وعنايته أن يظهر جسده بشكله كما كان منذ البداية لكى لا يتصور أحد أنه يلبس شكلاً آخر غير ذلك الشكل الذى صلب به. كما أن عيوننا لم تكن لتستطيع أن تحتمل مجد الجسد المقدس، لو أن المسيح أراد أن يعلن مجد القيامة للتلاميذ قبل أن يصعد إلى الآب" (شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الأسكندرى، الأصحاح العشرين: 19).

يقول القديس كيرلس أن السيد المسيح **دخل** والأبواب مغلقة وليس أنه كان بالداخل. وهذا **الدخول** شئ خارق لا يستطيع أحد غيره عمله. فهو يؤكد أنه قام بنفس جسده الذى علّق على الصليب وأن هذا الجسد ليس خيالياً وليس جسداً آخر. هو نفس الجسد، لكنه أخذ وضع القيامة الممجد. والدليل هو وجود مكان الحربة وأثار المسامير. ويقول معلمنا يوحنا الرسول "فَفَرِحَ التّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ" (يو20: 20) بمعنى أنهم رأوه بنفس الملامح وبنفس الشكل، لكنه طبعاً كان بجسد غير قابل للموت لأنه جسد القيامة. وهو لم يرد أن يظهر مجده الإلهى لأن التلاميذ كانوا سيموتون إذا ظهر لهم بكل مجده الإلهى.

هنا يحذّر القديس كيرلس سامعيه من الزعزعة عن الإيمان الأرثوذكسى وبأن يظن أن ما ظهر هو شئ غير جسد القيامة، أو أن طبيعته لم تعد هى الطبيعة البشرية التى خلصنا بواسطتها. ويقول "**دققوا النظر فى هذا الدخول غير المتوقع**، فإن المسيح **بدخوله والأبواب مغلقة** يظهر مرة أخرى أنه هو الله بالطبيعة".

وتأكيده على كلمة "الدخول" يدل على أن السيد المسيح كان خارجاً ثم دخل. فهل يقول القديس كيرلس "دخوله والأبواب مغلقة" ثم يأتى فى هذه الأيام من يقول عكس كلام القديس كيرلس الكبير؟

هل هذا الأب الراهب يعتبر أن جسد المسيح موجود فى كل مكان حتى قبل الصلب؟[[2]](#footnote-2) لو كان الأمر هكذا لكانت مصيبة أكبر!! وحتى بعد القيامة لو قيل أنه لا يزال فى القبر هذه مصيبة كبرى!! وحتى بعد الصعود مصيبة كبرى أيضاً!!

إن القبر الفارغ هو من أهم إثباتات القيامة، فتعتبر مصيبة المصائب إن قال أحد أن جسد المسيح بعد القيامة كان لايزال موجود داخل القبر لكن مجرد أننا لا نراه!!

فى إنجيل معلمنا يوحنا الأصحاح العشرون يقول: "وَلَمَّا كَانَتْ عَشِيَّةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَهُوَ أَوَّلُ الأُسْبُوعِ وَكَانَتِ الأَبْوَابُ مُغَلَّقَةً حَيْثُ كَانَ التّلاَمِيذُ مُجْتَمِعِينَ لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ **جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ** فِي الْوَسَطِ وَقَالَ لَهُمْ: سلاَمٌ لَكُمْ" (يو 20: 19).

لو كان موجوداً أصلاً بالداخل ومجرد أنهم لم يقدروا أن يروه لماذا يقول معلمنا يوحنا "**جاء** يسوع". كلمة "جاء" هل كانت خطاءًا فى إنجيل يوحنا؟!؟ إن كان مجرد أنه ظهر لماذا لم يقل "ظهر" بدلاً من "جاء".

فى إنجيل معلمنا لوقا يقول "وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهَذَا **وَقَفَ** يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسَطِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: سَلاَمٌ لَكُمْ!" (لو 24: 36). هذا كان بعد أن مشى مع تلميذى عمواس وشرح لهما ما ذكر عنه فى أسفار موسى والأنبياء "وَلَكِنْ أُمْسِكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ" (لو 24: 16). فلما إنفتحت أعينهما عرفاه. إن شكله لم يتغير لكن أعينهما هى التى أمسكت عن معرفته وكتبت هكذا بوضوح. والسبب فى ذلك هو أن السيد المسيح لا يريد أن الإيمان يكون مبنياً فقط على الرؤية، لكنه يريد أن يكون الإيمان مبنياً على تتميم النبوات. لذلك "ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ" (لو 24: 27)، فقالا "أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهِباً فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ" (لو 24: 32). وهو قال لهما "أَيُّهَا الْبَطِيئَا الفهم[[3]](#footnote-3) بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ" (لو 24: 25).

يقول معلمنا متى الرسول فى إنجيله أن الملاك فى الزيارة الثانية للقبر قال لمريم المجدلية ومريم الأخرى:[[4]](#footnote-4) "اذْهَبَا سَرِيعاً قُولاَ لِتَلاَمِيذِهِ إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ. هَا هُوَ **يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ**. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ. هَا أَنَا قَدْ قُلْتُ لَكُمَا" (مت 28: 7). ما معنى كلمة "**يسبقكم**"؟ إن كان هو فى الجليل لأنه فى كل مكان فما معنى كلمة "يسبقكم"؟

**الصعود**

وحينما صعد السيد المسيح إلى السماء قالت الملائكة المصاحبة له للملائكة حراس الأبواب الدهرية "إفتحوا أيها الملوك أبوابكم وَارْتَفِعْنَ أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ **فَيَدْخُلَ** مَلِكُ الْمَجْدِ" (مز 24: 7) لاحظوا كلمة "يدخل" هنا.. فرد عليهم الملائكة حراس الأبواب الدهرية قائلين "مَنْ هُوَ هَذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟" لأنهم لم يروا من قبل ذو طبيعة بشرية داخلاً إلى ملكوت السموات، هذا الشئ لم يحدث من قبل مطلقاً.[[5]](#footnote-5) فأجابتهم الملائكة المصاحبة للمسيح الذين يعرفون أحداث الفداء والصلب والقيامة قائلين "الرَّبُّ العزيز **الْقَدِيرُ** **القاهر فى الحروب..** رَبُّ الْجُنُودِ هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ" (مز 24: 8، 10).[[6]](#footnote-6)

نريد ممن ينادى بهذا الرأى أن يقول لنا ما معنى عبارة "**فيدخل** ملك المجد"؟!

وكما دخل السيد المسيح إلى العلية والأبواب مغلقة خرج من القبر والحجر موضوع على بابه.

**دخل إلى الأقداس يشفع فينا**

ويقول معلمنا بولس الرسول فى الرسالة إلى العبرانيين "**دَخَلَ** **مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ**، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيّاً" (عب9: 12) ما معنى هذا الكلام؟ وقال أيضاً "لأَنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هَذَا، قُدُّوسٌ بِلاَ شَرٍّ وَلاَ دَنَسٍ، قَدِ **انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ** وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ" (عب7: 26)، "خَادِماً لِلأَقْدَاسِ وَالْمَسْكَنِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي نَصَبَهُ الرَّبُّ لاَ إِنْسَانٌ" (عب 8: 2).

معنى عبارة "**إنفصل عن الخطاة**" أن ناسوته الذى كان موجوداً على الأرض صعد إلى السماء فإنفصل عن الخطاة أى عن البشرية الخاطئة.[[7]](#footnote-7) ثم صار "خادماً للأقداس والمسكن الحقيقى الذى نصبه الله لا إنسان" أى مسكن ليس مثل هيكل سليمان، لكنه المسكن الأعظم الأكمل (أنظر عب 9: 11). يأخذ معلمنا بولس الرسول هذه اللقطة ويقول إن رؤساء الكهنة كانوا يدخلون مرة واحدة فى السنة لأن "الْمَوْتَ مَنَعَهُمْ مِنَ الْبَقَاءِ" (عب7: 23)، أما نحن فلنا رئيس كهنة حى إلى الأبد "**دَخَلَ** **مَرَّةً وَاحِدَةً** إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيّاً". مرة واحدة مر عليها إلى اليوم حوالى ألفى عام وهى مرة واحدة، وليس مرة كل سنة مثل رؤساء كهنة اليهود.

ما معنى عبارة "**وَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيّاً**"؟ المعنى هو كالأتى: إن السيد المسيح بإعتبارة رئيس الكهنة الأعظم قال "إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي" (يو16: 7)، فيشرح معلمنا بولس الرسول فى الرسالة للعبرانيين أنه دخل إلى الأقداس ليترأى أمام الله الآب لأجلنا، ومعلمنا يوحنا الرسول قال "إِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ **فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ**، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا" (1يو2: 1، 2).

فما هو عمله كرئيس كهنة أعظم فى المقدس السماوى؟

إن عمله هو أنه كما كان رئيس الكهنة فى القديم يدخل بذبيحة ثور مرة واحدة فى السنة عن خطاياه وآخر خطايا الشعب ويضع الدم على غطاء تابوت العهد فى عيد الغفران (يوم كيبور) هكذا رئيس كهنتنا الأعظم دخل بذبيحة نفسه إلى المقدس السماوى لكى يترأى أمام الآب يشفع فينا لذلك يقول "لَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِيَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا**".** معنى هذا أنهحينما قدّمنفسه ذبيحة على الصليب تمم الفداء أى أنه قدّم الكفارة التى تكفى لغفران خطايا العالم كله، ونزل إلى الجحيم وأفرج عن المحبوسين، وفتح الفردوس وأدخلهم.

لكن، هو كنائب عن البشرية قدّم نفسه ذبيحة للآب فكيف يمكث فى وسطنا؟ هو قُدِّم لأبيه فلابد أن يدخل إلى المقادس السماوية. كان ينبغى للصعيدة أن تصعد. وهو هناك يشفع فينا. بمعنى أن كل شخص منا فى كل مرة يطلب من الله أن يسامحه على خطية، يقول هو للآب أنا دفعت الثمن، فتغفر الخطية من أجل دمه الغالى.

إن عبارة "وجد فداءً أبدياً" تعنى أن وجوده المستمر فى قدس الأقداس السماوى فى حضرة الآب هو الذى يجلب الغفران بإستمرار، فهو قد دخل إلى الأقداس ليمارس عمله كرئيس كهنة أعظم، ويطلب من الآب مغفرة خطايا البشر. والخطايا تغفر فعلاً لأنه يقول "لنا شفيع عند الآب". وهو مستمر فى عمله فى مغفرة خطايا التائبين إلى أن يُغلق الباب. ومتى سيغلق الباب؟

سيغلق الباب حينما يغادر السيد المسيح المقدس السماوى ويأتى فى مجيئه الثانى على الكاروبيم ليصنع دينونة العالم.

وهو أيضاً الذى منحنا نعمة البنوة لأنه يقول "إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ" (يو20: 17) بمعنى إنى بتجسدى أخذت شكل العبد (فى 2: 7) فإلهكم أصبح إلهى، وحينما أصعد إلى السماء سوف أجعل أبى يصير أبيكم، لكنه أبى بالطبيعة وأبوكم بالتبنى، وهذا حينما أرسل الروح القدس. حينما أرسل الروح القدس ستبدأ الكنيسة فى ممارسة الأسرار المعمودية والإعتراف وتعطى الحل للمعترف ثم يتقدم للتناول من سر الإفخارستيا الذى [يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه] كل هذا على حساب رئيس الكهنة الأعظم.

وحيث أنه رئيس كهنة على طقس ملكى صادق فإن هذا يتطلب وجود كهنة لكى يكون هو رئيسهم. والكهنة هم الذين يقدمون ذبيحة الإفخارستيا بالخبز والخمر وهذه ليست تكراراً لذبيحة الصليب بل حضوراً وإستمراراً لها.

**الإفخارستيا واللامحدودية**

قد يقول قائل أن القداسات أحياناً تكون فى أكثر من كنيسة، فيكون جسد الرب ودمه فى أكثر من مكان فى وقت واحد؟ هذا صحيح لكن ليس معنى ذلك أن جسد الرب ودمه صارا غير محدودين، لأن اللامحدودية تعنى أنه ليس هناك مليمتر واحد فى الوجود كله خالى من وجوده.

الإفخارستيا سر، والسيد المسيح قال "اِصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي" (لو22: 19)، فوجود الخبز والخمر المتحول إلى جسد الرب ودمه فى أكثر من كنيسة يتم بأمره هو، ولا يعنى أنه صار غير محدود. هو موجود فى كل قداس كإمتداد لذبيحة الصليب وليس تكراراً لها، وأيضاً ليس تكراراً للتجسد الإلهى. وطبعاً هذا سر.

لذلك يقول معلمنا بولس الرسول "هَكَذَا فَلْيَحْسِبْنَا الإِنْسَانُ كَخُدَّامِ الْمَسِيحِ وَوُكَلاَءِ سَرَائِرِ اللهِ" (1كو4: 1)، وأيضاً "يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الأُسْقُفُ بِلاَ لَوْمٍ كَوَكِيلِ اللهِ" (تي 1: 7). فكوكلاء أسرار الله نقدم سر الإفخارستيا.

لا يقدر أحد أن يدّعى أن الخبز والخمر موجود فى المطبخ وموجود فى وسائل المواصلات وموجود فى ميدان الأزبكية وفى برج إيفيل فى فرنسا. هو موجود فى المكان الذى به مذبح مدشن، وفيه كهنوت، وإستدعاء للروح القدس كسر فى الكنيسة.

وأيضاً لا نستطيع أن نقول أن الإفخارستيا كائن فى كل مكان أو فى الكون كله.

**الله فوق المكان والزمان**

الله ليس فقط كائن فى كل مكان لكنه بلاهوته هو فوق المكان. الكون كله له مساحة وأبعاد، لأن الكون مخلوق والمكان مخلوق والزمن مخلوق أيضاً لكن الله هو فوق الزمن لأنه هو الذى خلق الزمن.

فى القداس الغريغورى بعدما نقول "أنت الكائن فى كل زمان" نعود ونطورها فنقول عن الله "غير الزمنى الذى لا يحد". وعبارة "غير الزمنى" تعنى الكائن خارجاً عن الزمن. هو فوق الزمن وقبل الزمن وخارج الزمن.

للتوضيح نقول أن كل الكائنات التى نعرفها هى نقطة تتحرك بسرعة معينة على محور الزمن، ما قبلها هو ماضى فقدته، وما بعدها هو مستقبل لم تصل إليه، وما هى فيه هى نقطة مساحتها صفر هى الحاضر. بعد واحد على مليون من الثانية الحاضر سيصبح ماضى، والمستقبل حاضر.. أما الله فهو ليس نقطة تتحرك على محور الزمن لكن إلى جوار أنه كائن فى كل زمان (الماضى والحاضر والمستقبل) هو خارج كل هذه الخريطة، فهو فوق الزمن، لأن الزمن بدأ ببداية الخليقة. الله هو "الْكَائِنُ والَّذِي كَانَ والَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (رؤ 1: 8)، وعبارة "الذى يأت" تعنى الذى هو فى المستقبل وينتظرنا هناك.

إلا أن هذه التعبيرات كلها تعبيرات تبسيطية، وأصحها "غير الزمنى" لأنه فوق الزمن ولا يقدر أحد أن يصفه، لذلك فإننا فى نفس القداس الغريغورى نقول عنه "غير الموصوف".

**التجسد سر غير موصوف**

صاحب الرأى الذى نرد عليه يقول أن القديسين قالوا أن التجسد الإلهى هو سر غير موصوف.

لقد قال القديس كيرلس عن سر التجسد أنه سر غير موصوف ineffable mystery لكن هل معنى قوله أنه سر غير موصوف أن تكون هذه حجة ندّعى بها أن الناسوت غير محدود؟! لأنه هو نفسه يقول –كما ذكرنا سابقاً- عن الاتحاد بين الطبيعتين أنه "اتحاد لا يقبل الانفصام، **وبدون إختلاط وبدون تغيير**، لأن **جسده هو جسد وليس لاهوتاً رغم أن جسده قد صار جسد الله**."

عبارة "غير الموصوف" تعنى أن إتحاد اللاهوت بالناسوت هو فائق للوصف. وحينما تكلم الآباء عن الجوهر الإلهى قالوا أنه غير محاط به أى غير مدرك وفوق متسوى الإدراك.

فقال **القديس غريغوريوس** **النزينزى**:

"كان يمكن أن يحاط الله بالكلية لو كان فى الإمكان حتى أن يدرك بالفكر لأن الإدراك هو صورة من صور الإحاطة" (العظة الثانية القديس غريغوريوس المقال العاشر).

فى أحد المرات قال الوثنيين **للقديس باسيلوس** **الكبير** أنت تقول أن الله غير مدرك وغير محاط به إذن أنت تعبد إله أنت تجهله، فرد عليهم رداً لطيفاً جداً، قال:

"نحن نقول أننا نعرف عظمة الله، وسلطانه، وحكمته، وصلاحه، وعنايته بنا، وعدالة حكمه، لكن ليس جوهره ذاته... إن الطاقات تتنوع أما الجوهر فبسيط، لكننا نقول أننا نعرف الله من طاقاته، على أننا لا نشرع فى الاقتراب من جوهره... إن طاقاته تأتى إلينا من فوق أما جوهره فيظل بعيداً عن منالنا.. إذن معرفة الجوهر الإلهى تتضمن إدراك أنه لا يسبر غوره، **وموضوع عبادتنا ليس هو أن نفهم الجوهر لكن أن نفهم أن هذا الجوهر كائن (موجود)**" (الرسالة إلى أمفيلوخيوس الفقرة 1 و2 مجموعة آباء ما بعد نيقية المجلد الثامن).

هنا يقول القديس باسيليوس إننا نستطيع أن نعرف صفات الله لكن بخصوص جوهره فى غير إستطاعتنا أن نعرف أكثر من أنه كائن وهذا يكفينا.

**إسم الله الخصوصى**

هنا وتذكرت أنه حينما ظهر المسيح لموسى فى العليقة وقال له "أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ" (خر3: 6)، فسأله موسى عن اسمه[[8]](#footnote-8) لكى يرد على الشعب عندما يسألون عن إسم إلههم، فقال له "أهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ. وَقَالَ: هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ" (خر3: 14).

"أهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ" أى أكون الذى أكون، أى أنا الكائن الضرورى الذى لم يكونه أحد. ثم قال له "هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهْوَهْ إِلَهُ آبَائِكُمْ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هَذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ وَهَذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ" (خر3: 15). "أهية" أى أنا أكون I am و"يهوه" تعنى هو يكونHe is.

كنت محتاراً لماذا إختار الله لنفسه إسم "الكائن"، لكن لما قرأت أن القديس باسيليوس الكبير يقول يكفنى أن أعرف عن الجوهر الإلهى أنه كائن، فهمت وقلت هو حقاً يستحق لقب "الكبير"، لإنى فهمت أن الاسم الذى يمكن لله به أن يوصّف جوهر الثالوث هو الاسم "يهوه".

أما اسم يسوع الذى ترتعب منه الشياطين فهو مكون من مقطعين "يهو" (مقطع من يهوه) و"شوع" بمعنى "خلص".

فى سفر الأمثال يقول "مَن صَعِدَ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ؟ مَن جَمَعَ الرِّيحَ في حُفْنَتَيْهِ؟ مَن صَرَّ الْمِيَاهَ في ثَوْبٍ؟ مَن ثَبَّتَ جَمِيعَ أَطْرَافِ الأَرْضِ؟ **مَا اسْمُهُ وَمَا اسْمُ ابْنِهِ إِنْ عَرَفْتَ**" (أم 30: 4).

لم يعرف أحد فى وقتها أن يجيب على هذا السؤال، إلى أن جاء الملاك وبشر السيدة العذراء وقال لها أن "اسمه يسوع" (مت 1: 21) أى "يهوه خلّص"، وليس "يخلص" (فى الماضى وليس المضارع لأنه أمر حتمى).

هذا عن اسمه هو.. ثم فى مناجاته الوداعية مع الآب قبل الصلب قال "أَنَا **أَظْهَرْتُ اسْمَكَ** لِلنَّاسِ" (يو 17: 6) وكرر "**أَيُّهَا الآبُ** قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ" (يو 17: 1)، "**أَيُّهَا الآبُ** الْقُدُّوسُ احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ" (يو17: 11)، "**أَيُّهَا الآبُ** أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا" (يو17: 24)، "**أَيُّهَا الآبُ** الْبَارُّ إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ وَهَؤُلاَءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي" (يو17: 25). ثم قال عبارة فى منتهى الروعة، قال "**أَيُّهَا الآبُ** أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ... **وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ** وَسَأُعَرِّفُهُمْ لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يو17: 24، 26).

بهذا أعلن اسمه وإسم إبنه فى العهد الجديد.

"عرفتهم إسمك" هذه هى الأنشودة الجميلة التى تتغنى بها الكنيسة.

**ختام**

أرجو إن كان أحد فعلاً يردد أن ناسوت المسيح هو غير محدود أن يلغى هذا الكلام تماماً لأنه ضد كل المسلمات. فى إيمان الكنيسة أن إتحاد اللاهوت بالناسوت لم يجعل الناسوت غير محدود، ولا جعل اللاهوت محدود. لا جعل اللاهوت قابلاً للألم، ولا الناسوت غير قابل للألم. إلى أن أكمل الفداء أما بعد القيامة فهو غير محتاج أن يكون قابلاً للألم لأن الفداء على الصليب إستوفى الآلام فيقول ملعمنا بولس الرسول "يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ بِالآلاَمِ" (عب2: 10).

أما بعد الصعود فهو "مُعْلَمٌ بَيْنَ رَبْوَةٍ" (نش5: 10) لأنه سيظل محتفظاً بالجراحات، أى بآثار الحربة والمسامير. ويظل هذا هو موضوع تسبيح القديسين إلى أبد الدهور: "مُسْتَحِقٌّ هُوَ الْحَمَلُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ" (رؤ5: 12).. "لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَ لِلَّهِ بِدَمِكَ" (رؤ 5: 9). هذه ترنيمة الملائكة الجديدة وليس البشر وحدهم. نحن لا يمكننا أن ننسى أنه ذبح واشترانا.

وملامحه لن تتغير لكنه سوف يكون فى ملء مجده، لأننا حينما نأخذ جسد القيامة الممجد سوف نأخذ عينين لا تفقد البصر إذا نظرت مجده، وجسداً لا يموت إذا أبصر مجده. هذا هو جسد القيامة.. ويقول معلمنا بولس الرسول "الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ" (في3: 21). والسيد المسيح قال "حِينَئِذٍ يُضِيءُ الأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِمْ" (مت13: 43). إذن جسد القيامة سوف يحتمل رؤية المجد الكامل للرب يسوع المسيح.

وهذا هو موضوع فرح القديسين فى الأبدية ليس بمعنى أن ناسوته سوف يكون غير محدود لكن مجده هو الذى سيكون غير محدود. كل ما فى الأمر أن الناسوت لن يخفى مجده بعد.

فى التجسد قيل "رَكِبَ عَلَى كَرُوبٍ وَطَارَ وَهَفَّ عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيَاحِ. جَعَلَ الظُّلْمَةَ له سِتْارَاً تحوط به مظلته" (مز 18: 10، 11). هذه الظلمة هى الناسوت الذى أخفى مجده.

على جبل التجلى ظهر شعاع من مجده. ولما ظهر لإستفانوس لم يظهر بملئ مجده لئلا يموت قبل الرجم. وحينما ظهر لشاول الطرسوسى فقد بصره.

مجده فى الأبدية أمر غير قابل للمناقشة لكن ليس معناه أن شيئاً سوف يضاف إلى المسيح لكن كل ما فى الأمر هو أن الناسوت لن يخفى مجده بعد.

سوف أعطى مثالاً لتقريب المعنى: كأنه كان يلبس رداءًا بلون بنى قاتم يخفى النور الداخلى ثم صار هذا الرداء شفافاً فلم يعد يخفى شيئاً من النور.

**كيف يقدر آلاف الملايين فى ملكوت السموات أن يروا المسيح؟**

لا يجب أن نفكر فى الأمر كأننا على الأرض.

كيف نرى عن طريق التليسكوب الإلكترونى المجرات على بعد ألاف المليارات من الكيلومترات؟

كيف تقدر بالتليفون الموبيل أن تكلم شخص فى أى مكان فى العالم وترى صورته وهو يكلمك عن طريق تقنية video call؟

**فهل يعجز الله عن أن يجعلنا نراه؟**

أنت فى الملكوت حينما تريد أن ترى يسوع سوف تراه، لا تسأل كيف؟ الله يمكنه أن يعطى عينيك قدرات تمكنك من الرؤية على بعد آلاف الملايين من الكيلومترات بدون تليسكوب. لا يجب أن نأخذ كل شئ بمقاييس مادية حرفية لكن نحترس ألا نقول أن الناسوت غير محدود. نحن نقول أن له جسد ممجد لكن لا نقول أنه تحول إلى لاهوت وإلا نخالف الإيمان المسلم مرة للقديسين.

1. تفريغ حلقة برنامج "حوار مفتوح" بتاريخ 13 مايو 2016. [↑](#footnote-ref-1)
2. لا أعرف إن كان المقصود هو فقط جسد ما قبل القيامة أم جسد المسيح منذ التجسد لأن ما وصلنى فى الحقيقة هو فقرات من شرح هذا الراهب وليس كل الشرح لكن ما ذكر بمنتهى الوضوح فى الفقرات التى وصلتنى هو أن السيد المسيح لم يدخل من الجدران لكنه كان موجوداً داخل العلية لأنه غير محدود وموجود فى كل مكان لكن التلاميذ لم يروه، ثم أظهر نفسه لهم. هذه هى النقطة التى نقدم الرد عليها. [↑](#footnote-ref-2)
3. "أيها الغبيان" المذكورة فى الترجمة البيروتية ليست صحيحة لذلك نورد الآية هنا حسب الترجمة التى وردت فى القطمارس. [↑](#footnote-ref-3)
4. مريم زوجة كلوبا أم يعقوب ويوسى وأخت (إبنة خالة) أمه (السيدة مريم العذراء والدة الإله). [↑](#footnote-ref-4)
5. حتى إيليا وأخنوخ الذين صعدا لم يدخلا إلى الملكوت بل هما محفوظان فى مكان إلى أن يأتى ثانية فى نهاية العالم ليشهدا المسيح ويحاربا الوحش والوحش يقتلهما. [↑](#footnote-ref-5)
6. نحن نسمع هذا الحوار فى تمثيلية القيامة فى ليلة عيد القيامة ولكن هذه العبارات لم تقل فى يوم القيامة إنما قيلت فى يوم الصعود لذلك رتبت الكنيسة أن يكون هذا هو مزمور إنجيل قداس عيد الصعود. [↑](#footnote-ref-6)
7. لأنه حتى المؤمنين محتاجون إلى رحمة ربنا ومحتاجون إلى ممارسة التوبة، حتى بطرس نفسه محتاج أن يتوب عن الإنكار إلخ. [↑](#footnote-ref-7)
8. لأن آلهة المصريين لها أسماء كثيرة مثل رع وإيزيس وأوزوريس وحورس وحتحور وابيش وغيرها وكل إله متخصص فى شئ. [↑](#footnote-ref-8)